

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الرابعة - العدد الثالث عشر - ربيع ١٣٩٣ش / آذار ٢٠١٤م

صص ٤٣ - ٢٩

الإلهامات والإشارات القرآنية في القصيدة الثانية من ديوان خاقاني

عباس ماهيار*

عطاءالله كويال**

فريدون كورهئي***

الملخص

خاقاني (٥٩٥-٥٢٠ق) شاعر فارسي اللسان، معروف، وهو صاحب قصائد فخمة وأشعار عميقة وصعبة ومبهمة، كما يعد أكثر شعراء الأسلوب الأذربيجاني شهرة في القرن السادس. شعره يزخر بالمواضيع العلمية والمصطلحات الدينية، وهو دائرة المعارف في علوم القرآن والحديث. إن التسلسل على مختلف أنواع العلوم واستخدامها في شعر هذا الشاعر الكبير وفكره وإبداعه جعل فهم شعره يبدو معقداً ومبهماً، فقد ضمن شعره الكثير من مفاهيم الزهد والأخلاق بالاستفادة من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، ولا شك في أن الإمام بالقرآن وتفسيره من مفاتيح حل الكثير من مشكلات أبيات هذا الشاعر. وستناول في هذه المقالة سبل توظيف القرآن والمضامين الإلهية في القصيدة الثانية - فقط - من ديوان خاقاني. ومن المؤكد أننا سنذكر في البداية توضيحات عامة عن الشاعر، وارتباطه بالقرآن وتقديم تعريفاً للقصيدة الثانية التي مطلعها:

ای پنج نوبه کوفته در دار ملک لا لا در چهار بالش وحدث كشد تو را
أبها الطارق باب ملك "لا" خمس مرات إن "لا" تقودك إلى مسند التوحيد

الكلمات الدليلية: خاقاني، القرآن، المعراج، الإشارة، التأثير.

*. أستاذ بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران.

** .أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران.

***. خريج مرحلة الدكتوراه بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران. Koureif@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. حسن شوندي

تاريخ القبول: ١٣٩٢/١٠/٢٠ش

تاريخ الوصول: ١٣٩١/١١/٢٥ش

المقدمة

لقد عرف في الثقافة الإسلامية عدد من الشعراء المؤمنين، والناطقين بالحكمة الإلهية حديث: «إن من الشعر لحكمة» وأمرء الكلام، حديث: «الشعراء أمرء الكلام»، وقد جعل الله حسابهم منفصلاً عن غيرهم من ناظمي الكلام (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧) فقد جاء في سورة ياسين المباركة أن الشعر تالٍ للآيات القرآنية وُصِرَ بالتمييز بين الآيات القرآنية والشعر، لأننا لم نعلمه (الرسول) الشعر وهذا غير لائق أيضاً، وهذا الكلام ليس إلا نصحا وقرآنا منيراً. (يس: ٤٩) ومن النقاط التي يتم فهمها من هذه الآية أن السبب في ظن البعض أن كلام الله شعر يعود إلى ما يتمتع به الشعر من مقام رفيع، وهنا لا يعد الخالق أن عدم كون النبي (محمد) شاعراً بسبب نطقه بالوحي إنقاصاً من شأنه. وكما قال العلامة الطباطبائي فإن سر عدم امتلاك الرسول لموهبة الشعر هو كمال بالنسبة إليه وأساس لرفعة درجته ونزاهة ساحته. (ترجمة الميزان، ج ١٧: ١٧٠) وقد عُدت السنة الشعراء في حديث آخر مفاتيح للكنوز القابعة تحت العرش. إن الله تعالى كنوزاً تحت العرش أمسكها عن الأنبياء وأجراها على السنة الشعراء. (نفائس الفنون وعرائس العيون، ج ١: ١٧١) وقد قال خاقاني في إشارة إلى هذا الحديث نفسه:

هم امارت هم زبان دارم كليد گنج عرش وین دودعوى رادليل است از حديث مصطفى
لدى إمارة ولسان مفتاح كنز العرش وهاتان الدعوتان دليل من حديث المصطفى
لم يكن لأى كتاب تأثيره الكبير على فكر ولسان الشعراء وكتاب الأدب الفارسى
كما كان للقرآن ويجب أن نصرح بجرأة أن آيات القرآن وكلماته بالإضافة إلى دورها
في غناء معجم الناطقين بالفارسية فإنها كانت دائماً قبلتهم من حيث المعنى والمفهوم
وخلق المضامين الرفيعة. ومظاهر تأثير الأدب الفارسى الواسعة بالقرآن قابلة للبحث من
جوانب مختلفة ولكنها لا تندرج في إطار بحثنا هذا.

ولكن يبقى من أكثر البحوث القابلة للتطبيق جاذبية في الآثار التي خلفها كبار أدبنا هو الاستفادة من القرآن في خلق فنهم. وستنتظر في هذا البحث المختصر إلى تأثير القرآن على قصيدة واحدة من قصائد خاقاني وهي بعنوان "مشيت نمونه خروار" (غيبض من فيض) ونأمل أن تسترعى الانتباه. يقول خاقاني نفسه بشأن أثر القرآن الكريم على

شعره:

سخن كه خيمه زند در ضمير خاقاني طناب او همه حبل الله است از اطناب
- عندما يجيم الكلام على ذهن خاقاني، يتمسك بحبل الله من بين جميع الحبال.
(الديوان، القصيدة ٢٣، البيت ١١٩)

نسعى في هذه المقالة إلى دراسة تأثير القرآن الكريم على شعر خاقاني إذ نبين أنه استعان بشكل عام بالقرآن الكريم في ديوانه بالشكلين: اللفظي والمعنوي، وكانت استعانه به تركز بشكل رئيس على خلق المضامين أو المصادقة على مادة معينة أو التأكيد عليها.

خلفية البحث

لقد انعكس تأثير القرآن على قصائد خاقاني بأشكال مختلفة في شروح ديوانه أو الكتب المرتبطة بتأثير كلام الله على النصوص الفارسية. ومن بين المؤلفات التي تجدر الإشارة إليها كخلفية للبحث نشير إلى:

١. مقتطفات من تأثير القرآن الكريم على الشعر الفارسي، لسيد عبد الحميد حيرت سجادي.

٢. تأثير القرآن والحديث على الأدب الفارسي، للدكتور علي أصغر حلبي.

٣. في أرض الشمس، للدكتور علي محمد مؤذني.

٤. شرح ديوان خاقاني، لمحمد رضا برزگر خالقي.

٥. تقرير حول صعوبات خاقاني، لمير جلال الدين كزازی.

٦. مالک ملک الكلام، للدكتور عباس ماهيار.

٧. شاعر الصباح، للدكتور سيد ضياء الدين سجادي.

٨. قاموس مفردات وتعابير ديوان خاقاني شرواني، للدكتور سيد ضياء الدين

سجادي.

٩. مآدبة العروس القديمة، لمعصومة معدن كن.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن كافة البحوث المذكورة تطرقت إلى الإشارة لنماذج

من تأثر شعر خاقاني بالقرآن الكريم، لكننا حاولنا في هذه المقالة أن نشير إلى كافة الحالات التي تتضمن تأثير القرآن والأحاديث على هذه القصيدة بدقة أكثر. وهنا ينبغي التذكير بأن أكثر الشعراء الفرس الكبار الذين جاؤوا بعد خاقاني، استعانوا بأسلوبه في الإشارة إلى الآيات القرآنية واستخدامها نوعاً ما ورفعوا من قيمة قصائده وأثبتوا أن خاقاني كان أستاذاً رائداً وصاحب طريقة في الشعر.

بيئة خاقاني؛ حياته وآثاره

هو بديل بن علي، المتخلص باسم "خاقاني"، ولد حوالي ٥١٩ أو ٥٢٠ق في شروان. كان أبوه يعمل نجاراً وكانت أمه مسيحية. تربى في صغره في ظل رعاية عمه كافي الدين عمر بن عثمان وقد اكتسب من حضوره في حياته فوائد كثيرة. أصبح أستاذاً في الأدب الفارسي والعربي، والقرآن، والحديث، والفقه، والطب، والنجوم، والفلسفة بالإضافة إلى اكتسابه معلومات ومعارف أخرى. قام بالكثير من الأسفار وكان أهمها سفره إلى العراق والحجاز وزيارة بيت الله. سجن عدة مرات في حياته، وقد قابل بالإضافة إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله بعض السلاطين السلاجقة وأتابكان أذربيجان وأمراء شروان وكنجه. أمضى القسم الأكبر من الثلث الأخير من حياته في تبريز وتوفي في المكان نفسه سنة ٥٩٥ق. (ماهيار، ٢٠٠٩م: ٢٦-٢٨) ودفن في مقبرة الشعراء في تبريز. يعد خاقاني من المتكلمين المبرزين ومن الممثلين الموقنين للأسلوب الأذربيجاني في القرن السادس ويعرف شعره بالتكلف وبعد المعنى والمحسنة البديعية المركبة والتصوير المبهم والمضامين المتعددة. وقد كان فكره الخلاق وذاكرته المفعمة وقدرة طبعه الشعري مضرب حديث بين الناس جميعاً. وقد ألبس استعارات شعره، وكنائياته، وتلميحاته ومضامينه الغريبة إبهامات وتعقيدات كثيرة. وقد أضفى إلمامه بالعلوم المختلفة واستخدام ذلك في شعره على كلامه لونا وسمه جعلتاه متمائزا ومختلفا عن بقية الشعراء الناطقين بالفارسية. وقد قدم الزهد (المأخوذ عن سنائي) بلغة أكثر فنية، ويظهر واضحا من خلال آثاره وطبعه الفني القوى وهمته العالية ومعنوياته الخلقية الكبيرة. وقد وصل إلينا بالإضافة إلى ديوان شعره المتضمن قصائده الرفيعة، والمقطعات، والغزليات، والرباعيات، مثنوى

"تحفة العراقيين" وكلها تدل على فضله وقدرته الإبداعية والعلمية الشاملة. (صفا، ١٩٩٢م: ٧٧٦-٧٨٤؛ ماهيار، ٢٠٠٦م: ٨-٢٦)

خاقاني والقرآن

خاقاني شاعر وحكيم مسلم يعتقد بأن بريق أنوار الوحي تشاهد في آثاره كلها وخاصة في قصائده المحكمة البنيان. يصرح قائلاً أنه استمد الجوهر الأصلي لتفكيره من القرآن ويشير بطرق متعددة إلى تأثيره بالقرآن. ونلاحظ التضمين، والتلميح، والحل والدرج، والترجمة، والاقتراس، والإشارة، والاستفادة من كلمات القرآن بكثرة في أشعاره. يستفيد خاقاني بشكل كبير من قصص الأنبياء والمواضيع المطروحة في القرآن ويمكننا القول بجرأة إن أقل نسبة من الشعر الذي لم يستفد من القرآن نلاحظ في شعره:

سخن كه خيمه زند در ضمير خاقاني طناب او همه حبل الله است از اطناب

الكلام الذي استقر في ضمير خاقاني جميع حباله مأخوذة من حبل الله ومن النقاط القابلة للذكر فيما يخص استفادة خاقاني من كلام الله الاستفادة الغريبة والمعقدة من قصص وآيات القرآن مما يجعل فهم ذلك التأثير أكثر صعوبة. فمثلاً، أحياناً بدل الإشارة إلى الآية يشير إلى سبب نزول الآية، وأحياناً أخرى بدل استخدام إحدى الشخصيات القرآنية يستخدم القصة التي ورد فيه اسم تلك الشخصية. وأحياناً يورد قسماً من تفسير الآية ويكون المقصود الآية نفسها، وأحياناً يذكر الموصوف مكان الصفة كما قد يذكر الخبر مكان المبتدأ، ولذلك فإن على من يريد التحقيق في تأثير خاقاني بالقرآن بالإضافة إلى إمامه القوي بالقرآن والتفسير (وخصوصاً تفسير أهل السنة والجماعة) أن يكون مطلعاً على المسائل الأدبية ودقائقها. خاقاني من أصحاب المذهب الشافعي ويجب تحليل اعتقاداته من وجهة نظر الشافعيين. سنقدم في هذا البحث المختصر دراسة لتأثير خاقاني بالقرآن في قصيدة واحدة.

التعريف الإجمالي بالقصيدة

عنوان القصيدة الثانية من ديوان خاقاني "في التوحيد والموعظة والحكمة ومعراج حضرة خاتم الرسل(ص)". نظم خاقاني خمس قصائد في مدح الرسول الأكرم وهذا

الشعر هو واحد منها ومطلعه:

اي پنج نوبه كوفته در دار ملك لا لا در چهار بالش وحدت كشد ترا
أيها الطارق باب ملك "لا" خمس مرات إن "لا" تجذبك إلى مسند التوحيد.

وقد استفيد في هذه القصيدة الجميلة من مفاهيم الزهد والمصطلحات الصوفية بإبداع كامل وكذلك فإن الدعوة إلى الوحدة والتوحيد والفناء والاستفادة من العشق والفقر بالمعنى العرفاني والبعد عن الآمال والشهوات ومحبة الدنيا والعبور من عالم الماديات عرفت على أنها من مقدمات الدخول إلى ملك السعادة وقد صرح في منتصف القصيدة بأن البحث عن الصراط والاستقامة يكون فقط في قبول الخضوع لهداية الرسول الأكرم (ص) ومن ثم تطرق إلى مدح وثناء الرسول في منتصف قصة المعراج وأحسن ختم الشعر بالمناجاة والدعاء.

تأثير القرآن في هذه القصيدة

از عشق ساز بدرقه پس هم به نور عشق از تيه لا به منزل الا الله اندر آ
اصنع من العشق هاديا ثم بنور العشق أيضا اخرج من تيه "لا" إلى منزل "إلا الله"
ففي هذا البيت إشارة إلى عبارة "لا إله إلا الله" والتي وردت في الكثير من آيات
القرآن ومنها بداية آيات ٢٢ و ٢٣ من سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
وبداية آيات ٢٢٥ من سورة البقرة و ١٨٢ من سورة آل عمران حيث يقول: ﴿اللَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وكذلك فإن وضع "تية لا" في منزل "إلا الله" يعني اخرج من
صحراء الضلال إلى المنزل الذي لا وجود فيه إلا الله.

فيض هزار كوثر ووزين ابريك سرشك برگ هزار طوبى وزين باغ يك گيا
فيض ألف كوثر مقابل دمة من هذا الغيم ورق ألف طوبى مقابل نبات من هذه

الحديقة

فكوثر نبع في الجنة وهي من الكلمات القرآنية التي جاءت في القرآن بالاسم نفسه
في مطلع سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ و"طوبى" أيضا من كلمات القرآن التي
ذكرت في الآية ٢٩ من سورة الرعد: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ
مَا أَبَى﴾ ويعتقد البعض أن طوبى شجرة في الجنة ويخصونها بخصائص. والاستعارات

المستعملة "الغيم" و"الحديقة" مستعار والمستعار منه لها هو "إلا الله" وإذا ما تصورنا أنها تشبيه مضمرة فإن "الغيم" و"الحديقة" مشبه به "التوحيد" أو منزل "إلا الله". وقد جعل من كلمات القرآن وسيلة لإيصال المعنى المقصود.

بيني جمال حضرت نور الله آن زمان كايينه دل تو شهود صادق الصفا
ستری جمال حضرة نور الله عندما تصبح مرآة قلبك صافية بصدق.

في هذا البيت إشارة إلى سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥)

عزلت گزین که از سر عزلت شناختند آدم در خلافت وعیسی ره سما
اختر العزلة فبوسيلة العزلة عرف آدم الخلافة وعيسى طريق السماء.

أشير صراحة في الآية ٣٠ و ٣١ من سورة البقرة إلى مقام خليفة الله آدم (ع) وأشير في الآية ٥٥ من سورة آل عمران و ١٥٨ من سورة النساء إلى معراج عيسى (ع) ورفعته إلى السماء "بل رفعه الله إليه" وكذلك فيه إشارة إلى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠)

كر سر يوم يحمى بر عقل خوانده اى بس پايمال مال مباح از سر هوا
إذا ما قرأت سر "يوم يحمى" على العقل فلا تكن مُداسا للمال بسبب الهوى

وجاء في الآية ٣٥ من سورة التوبة: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَرُونَ﴾ (التوبة: ٣٥)

تنگ آمدست زلزله الارض هين بخوان بر ماها وقال الانسان ماها
حان وقت زلزلة الأرض فاقراً وقال الإنسان ماها.

يشير إلى الآيات الأوائل من سورة الزلزال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ (الزلزال: ١-٣)

از عافيت مپرس كه كس را نداده اند در عاريت سراى جهان عافيت عطا
لا تسأل عن العافية فلم يعطوها لأحد فالعافية في هذا العالم لم تعط معارة لأحد
هذا البيت يحمل إشارة إلى الآية ٤ من سورة البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾
وقد صرح في التفسير أن: «الإنسان لا ينال أى نعمة إلا وهى ممزوجة بالمنغصات التى
تنغص على الإنسان عيشه والنعمة مقرونة بجرعات الحزن والألم، بالإضافة إلى مصائب
الدهر والحوادث المؤلمة التى تعذب روحه كسهم رعاف.» (الطباطبائى، ١٩٨٤م، ج ٢:
٦٧٩) ولذلك فإن هذا العالم ليس مكانا للعافية والراحة.

برينج فرض عمر برافشان ودان كه هست شش روز آفرينش ازين پنج بانوا
اثر عمرک في قضاء فرائض الصلوات الخمس واعلم أن انتظام الخلق في ستة أيام
من هذه الصلوات الخمس.

لقد وردت التوصية بأداء الصلاة في الكثير من آيات القرآن الكريم حيث أشير إلى
الصلوات الخمس وأمر بالالتزام بها: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨)
وقد قال الرسول الأكرم: «خمس صلوات في اليوم والليلة.» (كشف الأسرار وعدة
الأبرار، ج ١: ٤٨)

وبالإضافة إلى هذه الآيات يمكن مراجعة الآيات التالية، هود: ١١٤، طه: ١٣٠،
المؤمنون: ٦٦، قاف: ٤١ و ٤٢،
وصرح في سبع آيات من القرآن بالخلق في ستة أيام ومنها الآية ٥٩ من سورة
الفرقان ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وراجع أيضا
الآيات ٥٤: الأعراف، ٣: يونس، ٧: هود، ٤: السجدة، ٣٨: القاف، و ٤: الحديد.
آن ب و ت شکن كه به تعريف او گرفت هم قاف و لام رونق و هم كاف و نون بها
واكسر ذاك الصنم، فإنه بفضل إبلاغ الرسول اكتسب التوحيد رونقا.

تخطيم الأصنام يعنى وجود الرسول الأكرم الذى اكتسب الوجود بوحيه قيمة. و"قل"
إشارة إلى آيات القرآن الكريم التى يؤمر فيها الرسول بالإبلاغ عن الوحي الإلهي،
و"كن" أيضا تحمل إشارة إلى الوجود وعالم الأمر الإلهي والذى بنطقها يصبح أى شئ

يريده الحق كائنا موجودا: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧) وقد وردت هذه الإشارة نفسها مع اختلاف بسيط في كل من الآيات ٤٧: آل عمران، ٤٠: النحل، ٣٥: مريم، ٨٢: ياسين و ٦٨: غافر.

او مالک الرقاب دو گیتی و بردرش در کهتری مشجره آورده انبیا الرسول هو سيد المخلوقات في العالمين وقد صدق الأنبياء كلهم على سيادته بإظهاره لشجرة النسب

ذُكرت في سورة آل عمران إشارة إلى العهد الذي قطعه الله على أنبيائه وأقوامهم للإيمان برسول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١)

وأما ما قاله خاقاني عن أن الأنبياء في حضور الرسول الأكرم (ص) وعند إظهاره (لشجرة نسبه) يعترفون بدنو منزلتهم ففيه إشارة إلى هذه الآية.

هم موسى از دلالت او گشته مصطنع هم آدم از شفاعت او بوده مجتبی موسى أصبح مختارا بفضل هدايته وآدم أصبح مجتبی بفضل شفاعته ففي البيت إشارة إلى انتخاب موسى (ع) وبواسطة وجود الرسول الأكرم (ص) المبارك، وفيه إشارة إلى الآية ٤١ من سورة "طه" حيث صرح تعالى في خطابه لحضرة موسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أما فيما يتعلق بآدم واصطفائه بعد قبول توبته في المصراع الثاني ففيه إشارة إلى التفاسير التي ذكرت أن آدم أقسم باسم حضرة الرسول الأكرم (ص) وعفا عنه الله لذلك. (ماهيار، ٢٠٠٦م: ١٦٣، وكذلك الطبري، ١٣٣٩ش، ج: ١: ٥٤)

وقد أشار بعض المفسرين في تفسيرهم للآية: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧) إلى شفاعت رسول الله لحضرة آدم. وكذلك فقد أشار الله تعالى في عدد من آيات القرآن إلى انتخاب واصطفاء آدم ومنها الآية ٣٣ من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وقد ورد في آية أخرى من سورة طه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه: ١٢٢)

وبشكل عام فإن موسى بهداية الرسول الأكرم أصبح منتخبا وآدم بفضل شفاعته الرسول الأكرم وصل إلى مقام الاصطفاء واصطفاه الله وتاب عليه وهداه.

نطقش معلمى كه كند عقل را ادب خلقش مفرحى كه دهد روح را شفا
مقال رسول الله معلم يعلم العقل الأدب وأخلاقه دواء يشفى الروح

وهناك إشارة صريحة إلى كلام الرسول الذى ليس وحيا إلهيا فى الآيات ٣ و ٤ من سورة النجم و وجوده المبارك منزه عن الكلام التابع عن الهوى والهوس: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وكذلك هناك إشارة صريحة إلى خلق الرسول الجميل واللين فى القرآن ومن ذلك الآية ٤ من سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وكذلك الآية ١٥٩ من سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

وفى بقية الشعر يتطرق خاقانى إلى قصة معراج خاتم الأنبياء ويخلق من هذه الحادثة مضامين جميلة. ذكرت قصة المعراج فى مطلع سورتي الإسراء والنجم. وكذلك جاء فى الروايات: «كان رسول الله (ص) أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا.» (المبيدى، ١٣٣٩ش، ج ١٠: ١٨٨)

مریم گشاده روزه و عیسی بیسته نطق کو در سخن گشاده سر سفره سخا
فضت مریم صومها عن الكلام وأغلق عیسی فمه عن الكلام عندما فرش الرسول
مائدة الكلام بسخاء.

أشير إلى صوم مریم عن الكلام فى سورة مریم: ﴿فَكَلِمَةٍ وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مریم: ٢٦)، وكذلك أشير صراحة إلى تكلم عيسى فى المهدي فى آيات السورة نفسها: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مریم: ٢٩)

از آسمان، نخست برون تاخت قدر او هم عرض نطعش آمد وهم سدره متكا
من السماء، فى البداية خرج بقدره ومنزلته العظيمين وفرش بساطه على العرش

وعلى سدره المنتهى اتكأ.

ورد في بداية سورة النجم إشارة إلى معراج الرسول إلى السماء والعرش وسدره المنتهى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣-١٨) پس آسمان به گوش خرد گفت شك مكن كان قدر مصطفی است على العرش استوى نطقت السماء في أذن العقل: لا تشك أن قدر المصطفى جعله على العرش استوى. "استوى على العرش" (الاستيلاء على العرش) من المفاهيم التي ذكرت في كثير من آيات القرآن الكريم: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طه: ٥)

وخاقاني يعتبر أن هذا الاستواء هو استواء النبي على العرش وهذا ما أشير إليه في آيات كثيرة منها ٥٤: الأعراف، ١٢٩: التوبة، ٣: يونس، ٢: رعد، ٥٩: الفرقان، ٤: السجدة و ٤: الحديد.

آن شب كه سوى كعبه خلت نهاد روی این غول دار بادیه را کرد زیر پا في ليلة المعراج عندما قصد حبيب الله كعبة المحبة وضع عفريت متعلقات الدنيا تحت قدميه.

أشير في سورة الإسراء إلى حركة النبي ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لا تعجبوا اشارت كرده به مرسلين لا تقنطوا بشارت داده به اتقيا أشار للمرسلين بأن لا تعجبوا وبشر الأتقياء بأن لا تقنطوا.

أشار الشاعر في المصراع الثاني إلى الآية ٥٣ من سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

زو باز مانده غاشبه دارش میان راه سلطان دهر گفته که ای خواجه تا کجا؟ فارقه جبرائیل فی منتصف الطريق وقال سلطان الدهر بتعجب: إلى أين يا رسول الله؟

وعند قراءة عبارة "سلطان الدهر" تتبادر إلى أذهاننا الآية ٣٣ من سورة الرحمن: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا

لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿١٦٤﴾ وكذلك فإن المفهوم يذكرنا بالآية ١٦٤ من سورة الصافات:
﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾

بنوشته هفت چرخ و رسیده به مستقیم بگذشته از مسافت و رفته به منتها
طوی الرسول الأفلاك و وصل إلى المستقیم (العرش) عبر المسافات كلها و وصل
إلى المنتهى.

وهذا البيت يشير إلى الآيات الأوائل من سورة النجم والآية ١٤ بشكل خاص
"عند سدرة المنتهى". والمقصود من "مستقیم" في البيت العرش الإلهي وقد كانوا يسمونه
الفلک المستقیم. وهنا نشير إلى أن البعض يعتقد أن المقصود في هذه الآية الرسول (ص)
والبعض الآخر يعتقد أنه جبرائيل.

در سور سر رسیده و دیده به چشم سر خلوت سراى قدمت بی چون و چرا
وصل إلى سور السر ورأى بعينه خلوة الله دون كيف ولماذا.

خاقانی معتقد بالرؤية، وقد صرح في الآيات ١٧ و ١٨ من سورة النجم بأن الرسول
لم يخطئ في أنه رأى آيات الله الكبرى بعينه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾

ومعنى هذه الآية أن ما رآته عين الرسول (ص) لم تره على غير صفته الحقيقية ولم
ير شيئاً لم يكن حقيقياً، بل كان كل ما رآه صحيحاً.

گفته نود هزار اشارت به یک نفس بشنوده صد هزار اجابت به یک دعا
قیلت تسعة آلاف إشارة في نفس واحد وأجيبت مئة ألف حاجة بدعاء واحد.

في هذا البيت أيضا إشارة إلى تلقي الوحي من الله تعالى، والذي ذكر في الآية ١٠
من سورة النجم: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾

دیده که تقدهای اولوالعزمه یکی است آموخته ز مکتب حق علم کیمیا
رأى أن جواهر أولى العزم غير خالصة فتعلم من مکتب الحق علم الكيمياء.

نلاحظ أن هذا البيت بالإضافة للإشارة التي يحملها إلى الوحي المرسل إلى رسول
الله، فإنه يحمل إشارة أخرى إلى الرسل من أولى العزم كما ورد في الآية ٣٥ من سورة
الأحقاف: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾

أورده روزنامه دولت در آستين مهرش نهاده سوره و النجم اذا هوى
أحضر معه دفتر الإقبال والسعادة دفتر ختمه سورة "والنجم إذا هوى".
وهذا البيت أيضا يتناول حادثة المعراج في سورة النجم:
داده قرار هفت زمين را به بازگشت کرده خبر چهار امين را ز ماجرا
عاد الهدوء والاستقرار إلى الأرضين السبع بعودته وأطلع الخلفاء الأربعة على ما
حدث.

ذكرت السموات السبع في عدد من آيات القرآن ولكن نجد إشارة واحدة فقط إلى
الأرضين السبع في الآية ١٢ من سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ
الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾

وقد جاء في تفسير الميزان: يظهر أن المراد من "مثل"، المثلية العددية، يعني كما أن
السموات سبعة فإن الأرض أيضا سبعة. (الطباطبائي، ١٩٨٤م، ج ١٩: ٦٥٦)
اي فيض رحمت توگونه شوى عاصيان ريزى بريز بر دل خاقانى از صفا
يا فيض الرحمة أنت يا من تغسل ذنوب المذنبين فاسكب قطرة من الصفاء على قلب
خاقانى.

والمخاطب في هذا البيت وبناء على المحور العمودى للكلام هو حضرة الرسول
الأكرم (ص). ولكن إذا ما أردنا به أيضا الله تعالى فليس فيه خطأ. ويمكننا الاستناد
إلى آيتين قرآنتين إذا ما اعتبرنا أن المقصود الرسول (ص). أولهما الآية ١٠٧ من
سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وثانيهما تشير إلى شفاعة الرسول
الأكرم (ص) حيث غفر لكثير من المخطئين في ظل مقام الرسول (ص) وهذا ما ورد في
سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ومعروف أن هذه الآية من أكثر آيات
القرآن الباعثة على الأمل. روى في ترجمة تفسير الميزان حديث منقول عن حضرة
على (ع) أن رسول الله (ص) قال: أشفع لأمتي إلى أن يقول لى الله تعالى هل أنت راض
يا محمد؟ فأقول: نعم، أنا راض يا ربى. (الطباطبائي، ١٩٨٤م، ج ٢٠: ٧٢٤) وأيضا تشير
آية "مقاما محمودا" في سورة (الإسراء: ٧٩) إلى مقام ومنزلة الرسول (ص).

با نفس مطمئنه قرينش كن آن چنان كاو از ارجعى دهدش هاتف رضا

واجعله قرينا بالنفس المطمئنة إلى أن يأتيه هاتف الرضا قائلا "ارجعي". وهذا البيت أيضا يحمل إشارة إلى الآيات الأخيرة المعروفة من سورة الفجر. يشير خاقاني في البيت ما قبل الأخير من القصيدة إلى عطاء ومغفرة الله اللذين صرح بهما في الكثير من آيات القرآن الكريم. ياشنده عطايى و پوشنده خطا بر فضل تست تكيه اميد او از آنك أتكى بأملى على فضلك فأنت المعطى والغفور.

وكما لاحظتم فإنه قد استفيد في الثمانية والعشرين بيتا من هذه القصيدة المؤلفة من ستة وستين بيتا من آيات القرآن الكريم لإيصال المعنى، يعنى ما يساوى ثلاثة وأربعين في المئة من الأبيات. وهذه المسألة دليل على إمام خاقاني بمفاهيم القرآن واستخدامها الفنى البارع، ويؤكد على أن الفهم الصحيح لكلام خاقاني لا يتحقق إلا من خلال الاتكاء على مسائل القرآن الكريم والإمام بها.

النتيجة

إن رعاية خاقاني للتناسب بين الكلمات في بناء الشعر وملء سطور صفحات ديوانه بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والتلميحات البعيدة وإحاطته بالآيات والروايات القرآنية، قدموه على أنه واحد من أبرز الوجوه الملمة بفنون البلاغة والمسائل الأدبية، وهذا ما نشاهده في القصيدة الثانية له. لم يكن خاقاني عالما متبحرا في علوم القرآن أو محدثا أو مفسرا أو مؤرخا أو حكيما أو طيبيا أو منجما أو عارفا وإنما استفاد من آيات القرآن والأحاديث النبوية وقصص الأنبياء كعالم دين واستطاع أن يقدم مفهوما واحدا بصور وتعبيرات متنوعة، وقد حقق هذا الأمر بمنتهى الحرفية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

آملى، شمس الدين محمد ابن محمود وأبو الحسن شعرانى. ١٣٧٧ق. نقائس الفنون في عرائس

العيون. طهران: إسلامية.

خاقانى، أفضل الدين بديل. ١٩٨٩م. ديوان خاقانى. باهتمام ضياء الدين سجادى. الطبعة الثالثة.

طهران: دار زوار.

سنابى أبو المجد محدود. ١٩٨٠م. حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة. باهتمام محمد تقى مدرس رضوى. طهران: منشورات جامعة طهران.

صفا، ذبيح الله. ١٩٩٢م. تاريخ الأدب في إيران. الطبعة الثانية عشرة. طهران: دار فردوس للنشر. الطباطبائي، سيد محمد حسين. ١٩٨٤م. ترجمة تفسير الميزان. المترجم محمد باقر موسى همداني. الطبعة الأولى. طهران: مؤسسة العلامة العلمية والفكرية بالتعاون مع دار رجا وأمير كبير للنشر. الطبري، محمد بن جرير. ١٣٣٩ش. تفسير الطبري. باهتمام حبيب يغمايي. طهران: منشورات جامعة طهران.

عبدالباقي، محمد فؤاد. ٢٠٠٥م. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. قم: دار نويد إسلام. ماهيار، عباس. ٢٠٠٦م. سحر بيان خاقاني. الطبعة الأولى. كرج: دار جام كل. — ٢٠٠٦م. كنز الأسرار (شرح مشكلات خاقاني). الطبعة الأولى. كرج: دار جام كل. — ٢٠٠٩م. مالك ملك الكلام (شرح قصائد خاقاني). الطبعة الأولى. طهران: دار سخن للنشر.

المبيدي، أبو الفضل رشيد الدين. ١٣٣٩ش. كشف الأسرار وعُدّة الأبرار. باهتمام على اصغر حكمت. طهران: منشورات جامعة طهران.

